



مدى الكرمل Mada al-Carmel

المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية

برنامج دراسات إسرائيل

ملفات
مدى

اسرائيل والتحوّلات في المحيط العربي | ملف رقم 4، 2014
المحرران: إمطانس شحادة ونديم روحانا.

رؤية إسرائيلية للثورات العربية

يسري خيزران

كانون أول 2014

رؤية إسرائيلية للثورات العربية

يسري خيزران¹

كان عامل الصدمة والمفاجأة أبرز ما ميّز ردة الفعل الإسرائيلية الأولى على اندلاع الثورات في تونس ومصر. فرغم قدراتها الاستخباراتية لم تتوقع إسرائيل ذاك الزخم الثوري الشعبي، الذي أدى إلى سقوط سريع لأنظمة طالما صنفتها إسرائيل كأنظمة معتدلة موالية للغرب، ومساندة لمشروع التسوية مع إسرائيل ومحاربة للإسلام السياسي. وقد عززت القراءة المؤسسية والأكاديمية الإسرائيلية للثورات التي اجتاحت العالم العربي ما كان متداولاً حول الترابط العضوي والتداخل العميق بين المؤسسة السياسية الأمنية الإسرائيلية والدوائر الأكاديمية المختصة بالدراسات الإسلامية والشرق أوسطية. فعلى سبيل مثال أوضحت دراسة الباحث الإسرائيلي چيل إيال (Gil Eyal) أن أبحاث الدوائر الأكاديمية المختصة بالدراسات الإسلامية والشرق أوسطية تشكل جزءاً لا يتجزأ من تكوين وعي وعقلية المؤسسة الأمنية السياسية الإسرائيلية، واستمراراً لذهنية الاستشراق التي قامت على معرفة الآخر من منطلق كشف مواطن ضعفه وتسخير هذه المواطن للسيطرة وللهيمنة، وتسويغ فكرة انحطاطه من خلال نموذج يدعي العلمية.

يحلل الاستشراق الإسرائيلي - شأنه في ذلك شأن المؤسسة الحاكمة - ويدرس المحيط العربي الإسلامي من منطلق ثابت هو المصلحة الأمنية الإسرائيلية، كمعيار قيمي يحدد الحكم الأخلاقي والموقف السياسي من المحيط العربي. تُظهر دراسة إيال أن الخبراء الإسرائيليين في مجال الدراسات الشرق أوسطية - ومنذ قيام الدولة - لعبوا دوراً مركزياً، ليس في صياغة رؤية المجتمع الإسرائيلي للمحيط العربي، فحسب، إنما، أيضاً، في رسم الحدود الثقافية والسياسية بين إسرائيل ومحيطها.²

1 د. يسري خيزران، محاضر في الجامعة المفتوحة.

2. Gil Eyal, 2006. *The Disenchantment of the Orient Expertise in Arab Affairs and the Israeli State*, Stanford: Stanford University Press, p. 185.

سوف تتابع هذه الورقة مواقف إسرائيل تجاه التحولات في بعض الدول العربية المحيطة، وتدعي أن أساس ردود فعل إسرائيل تجاه الثورات العربية هو مصالحها ومكانتها الأمنية العسكرية، لذلك لم تكثر كثيرًا للتحويل في تونس، كونه لم يشكل تهديدًا مباشرًا وفوريًا للأمن الإسرائيلي، لكنّها تابعت باهتمام بالغ وبقلق شديد الثورة في مصر، نظرًا إلى ما تحظى به مصر من أهمية سياسية وأمنية واقتصادية لإسرائيل، ولسبب قلقها من بلوغ البديل الإسلامي الحكم في مصر، لما قد يحمله هذا التحول من إسقاطات على المعادلة الإقليمية القائمة. إلا أن اندلاع الثورة في سورية خفّف من مستوى القلق الإسرائيلي وبعث آملاً بانتهاء "محور الشر" الممتد من طهران إلى بيروت، وبدا لهم أن صعود الإسلاميين إلى السلطة في سورية سيعوّض إسرائيل جزئيًا عن خسارتها بسقوط حليفها المتمثل بنظام مبارك. بالإضافة، عزّزت الفوضى التي ولّدتها الثورات العربية القناعات الأيديولوجية المتأصلة في الفكر الصهيوني بضرورة الانعزال عن المحيط، وزادت الاستعلاء الإسرائيلي وادعاءها بأنها الديمقراطية الوحيدة والمستقرة في الشرق الأوسط. هذا وإن متابعة الإصدارات الأكاديمية ومواقف صنّاع القرار ورجال السياسة والإعلام في إسرائيل تعزّز هذه الادعاءات، كما سنوضح في هذه الورقة.

1. سقوط معسكر الاعتدال

جاءت ردة الفعل الإسرائيلية الرسمية على اندلاع الثورة الشعبية في تونس فاترة لكنّها مشوبة بقلق من المصير المجهول، فلم تُبدِ القيادة الإسرائيلية ولا إعلامها اهتمامًا خاصًا بالثورة التونسية التي أطاحت الرئيس زين العابدين بن علي. فتونس بالنسبة إليهم بعيدة جغرافيًا وغير مؤثرة في السياسة الإقليمية والصراع العربي الإسرائيلي، ولا تلعب دورًا هامًا في معادلات القوى العسكرية والأمنية الإقليمية. ويدلّ على هذا الفتور ما نشره الباحث الإسرائيلي في شؤون الشرق الأوسط، إيلي فوده، في صحيفة هآرتس، من تحذير للنخبة الإسرائيلية وزملائه المستشرقين من الاستخفاف بالثورة التونسية، والذي جاء بعد أن قدّم تحليلًا يستشرف أنّه من غير المستبعد أن تُلقى الثورة في تونس بظلالها، وتمتد إلى بلدان عربية أخرى تعاني من الضائقة الاقتصادية نفسها ومن قمع الحريّات وتهميش الطبقة الوسطى.³

3. إيلي فوده، "لا تستخفوا بتونس"، هآرتس، 26 كانون الثاني 2011.

اختلفت الأمور عندما امتد لهيب الثورة إلى مصر، ذات الأهمية الخاصة عربياً وإقليمياً. باعتبارها أكبر دولة عربية وتمتلك أكبر جيش عربي في المنطقة، وترتبط مع إسرائيل بمعاهدة سلام مستقرة منذ عام 1979. عدا عن الحدود الطويلة لها مع دولة إسرائيل ومع قطاع غزة. إضافة إلى البعد الاقتصادي الذي يتمثل، أساساً، في تزويد إسرائيل بالغاز الطبيعي المصري المستخدم لتشغيل محطات توليد الكهرباء وبأسعار بخسة. يُضاف إلى ذلك تشارُك مصر وإسرائيل في تخوّفاتها من الإسلام السياسي، والتي تجلّت بشكل واضح خلال عملية "الرصاص المصبوب" التي شنّها الجيش الإسرائيلي ضدّ حركة حماس في قطاع غزة عام 2008. يوضح ذلك ادعاء مارك هيلر، من معهد دراسات الأمن القومي في تل-أبيب، أن "سياسة مبارك جاءت - إلى حدّ بعيد - متلائمة ومتناغمة مع المصالح الأمنية العليا لدولة إسرائيل، لأن مبارك كان يعتبر معاهدة السلام مع إسرائيل مصلحة عليا لمصر. عدا عن أنّه شاركها هاجسها المتخوّف من الإسلام السياسي والقوى الرفضية لمشروع التسوية".⁴ كما تجلّى هذا الموقف المصري الرفض للعودة إلى الصراع مع إسرائيل خلال حرب لبنان الثانية عام 2006، عندما حمّل نظام مبارك حزب الله المسؤولية عن الدمار الذي لحق ببلبنان من جرّاء هذه الحرب.

برّرت التطوّرات التي شهدتها مصر - في أعقاب سقوط نظام مبارك حتى وقوع الانقلاب العسكري الذي نفّذه الجنرال عبد الفتاح السيسي - مخاوف الإسرائيليين من الثورات العربية. فقد تعرّض خط الغاز بعد الثورة لهجمات متكررة، كما هوجمت السفارة الإسرائيلية في القاهرة، وتمّت إعادة السفير الإسرائيلي إلى تل-أبيب، مقابل ذلك جرى الانفتاح على حركة حماس في غزة.

تميّزت المتابعة الرسمية والتغطية الإعلامية الإسرائيلية للأحداث التي أفضت إلى سقوط مبارك بنوع من الشعور بالأسف والحسرة، والتفكير الرغبويّ ألاّ يحدث ذلك، فقد كتب المحلل والمعلق چاي بخور من المركز المتعدّد التخصصات في هرتسليا، في التاسع من شباط عام 2011، أن "مبارك لن يتنازل ولن يتخلّى عن موقعه".⁵ واعتبر أودي سيجل، المحلل السياسي للقناة الثانية، مبارك رجل العام 2012، لأنه كان يجسّد بسياسته الحفاظ على الاستقرار في الشرق الأوسط.⁶

4. مارك هيلر، 2012. "ردود فعل إسرائيلية على الربيع العربي"، لدى يوئيل جوزنسكي ومارك هيلر (محرران)، عام على الربيع العربي:

التداعيات الدولية والإقليمية. تل-أبيب: معهد بحوث الأمن القومي، نشرة رقم 114، ص. 77.

5. چاي بخور، "كيف سوّق ادعاء صمود النظام في مصر؟"، ملفّات چاي بخور: - http://www.gplanet.co.il/prodetai_samewin.asp?pro_id=1319

6. أودي سيجل، "يشرح لماذا اختار حسني مبارك كرجل العام"، نشرة أخبار القناة الثانية، 2.10.2011:

https://www.youtube.com/watch?v=Da__ctREElhM

ووصل الأمر إلى أن يعرض الوزير السابق وأحد أركان حزب العمل (بنيامين بن إليعازر) ورئيس الحكومة، نتنياهو، على الرئيس مبارك - خلال الثورة المصرية - اللجوء السياسي في إسرائيل، حيث تعهدت الحكومة الإسرائيلية منحه اللجوء السياسي والمعالجة الطبية اللازمة، إلا أنه رفض هذا العرض.⁷

لم تجرِ الأمور وفقاً لرغبات إسرائيل، وكان انتخاب مرشح حركة الإخوان المسلمين، محمد مرسي، رئيساً لمصر في أول انتخابات رئاسية حرة تشهدها مصر منذ ثورة 1952، تحولاً صادمًا بالنسبة إليهم؛ فانتخاب "إخواني" يعني سيادة البرنامج العام للإخوان الذي يرفض الإقرار بشرعية دولة إسرائيل، ويهدد استقرار السلام مع إسرائيل ومعاهدة كامب ديفيد، التي كانت السبب الرئيسي للخلاف بين الحركة والرئيس الراحل، أنور السادات. ورغم أن الأيديولوجيا لها تأثيرها الهام في السياسة الإخوانية إلا أن التخوف الإسرائيلي زاد نتيجة السلوك السياسي اليومي للحكم الإخواني، الذي شكّل دعماً معنوياً لحركة حماس، التي تُعتبر أحد فروع الإخوان الهامة على حدودها الشمالية في قطاع غزة. فجماعة الإخوان هي الأب الروحي والتنظيم الأم لحركة حماس في غزة، حسب ما يقره ميثاق حماس. وتجلّى ذلك أكثر حين زار رئيس الحكومة المصرية، هشام قنديل، غزة خلال عملية "عمود السحاب" في تشرين الثاني 2012.⁸

كما أثار انفتاح الحكم المصري الجديد على إيران الهواجس في إسرائيل، وأقلقته زيارة الرئيس الإيراني السابق، أحمد نجاد، لمصر كأول زيارة لمسؤول إيراني بهذا المستوى منذ اندلاع الثورة الإسلامية فيها عام 1979، وكان قد سبقها مشاركة مرسي في مؤتمر دول عدم الانحياز في طهران. ورغم أن هذه الزيارات لم تؤدّ إلى استئناف العلاقات الدبلوماسية بين البلدين إلا أنها كانت مدعاة قلق بالنسبة إلى إسرائيل.⁹

شكّلت خطوة الرئيس مرسي، إقالة قادة الجيش المصري في آب عام 2012، قلقاً في إسرائيل، خصوصاً أن وزير الدفاع، محمد حسين طنطاوي، كان معروفاً بعلاقاته الوثيقة مع المؤسسة السياسية والعسكرية في إسرائيل. واعتبر المحلل الإسرائيلي، إهود يعاري، هذا القرار انقلاباً مدنياً على الجيش، وخطوة إضافية نحو تعزيز سلطة وهيمنة الإخوان المسلمين على الدولة

7. صحيفة هآرتس، "بن إليعازر: عرضنا على مبارك حقّ اللجوء السياسي في إيلات"، هآرتس، 3.8.2011.

8. آفي ساخاروف وعموس هرثيل، "مصر تصعد لهجتها إلا أنها تسعى لتحقيق وقف لإطلاق النار"، هآرتس، 16.11.2012.

9. تسفي برثيل، "أحمد نجاد في القاهرة: أول زيارة لرئيس إيراني لمصر منذ عام 1979"، هآرتس، 5.2.2013.

المصرية.¹⁰ تفسّر هذه المظاهر مجتمعة - إلى حدّ بعيد - حالة الترقب والقلق السياسي والأمني، بل والإستراتيجي، التي سادت إسرائيل خلال فترة حكم الرئيس محمد مرسي، والتي لم تستمرّ أكثر من عام.

أثارت حركة الاحتجاج التي اجتاحت مصر ضد سياسة الرئيس مرسي، والانقلاب العسكري الذي نفّذه الجنرال عبد الفتاح السيسي، ارتياحًا واسعًا في إسرائيل، فقد ظهر لها الانقلاب كعودة للنظام القديم بقالب جديد. فالجنرال السيسي هو - في نهاية المطاف - نتاج النظام القديم وممثل المؤسسة العسكرية التي تحظى بثقة الولايات المتحدة وإسرائيل، معًا. واعتبر يورام ميطال، المختص بتاريخ مصر، أن السبب الرئيسي لإسقاط حكم مرسي هو " فشل الإخوان المسلمين فشلًا ذريعًا في استغلال الفرصة التي أتاحت لهم للحكم في مصر، ولأنهم لم يقنعوا الشعب بأنهم يستحقون الثقة التي حصلوا عليها من جهة، أو أنهم قادرون على الحكم من جهة أخرى ".¹¹ فيما نشر الموقع الإلكتروني للقناة الثانية - في أعقاب إطاحة مرسي - مقالًا بعنوان " فجر عهد جديد في مصر ".¹² حتى وإن ظهر أن إسرائيل الرسمية لم تبتهج أو تتشفي بسقوط حكم الإخوان المسلمين، إلا أن الحرب الأخيرة على غزة (2013) كشفت مدى التناسق والتناغم ما بين نظام السيسي والحكومة الإسرائيلية. فقد اتضحت رغبة نظام السيسي بخروج حماس مهزومة ومستضعفة من الحرب وكان الحرب على القطاع كانت مكتملة لجهوده في تصفية وجود رديفتها الأيديولوجية، حركة الإخوان في مصر.¹³ لتكون المحصلة الأولية أن ليس كل ما نتج عن الثورة المصرية، سواء أكان انتخاب مرسي أم إطاحته من خلال انقلاب عسكري مدعوم شعبيًا، كان متعارضًا مع المصالح الإسرائيلية. صحيح أن إسرائيل خسرت برحيل مبارك وانهايار السيطرة الأمنية للدولة المصرية في شبه جزيرة سيناء، إلا أن الانقلاب الذي قاده الجيش ضد حكم الإخوان المسلمين شكّل نوعًا من التعويض عن الخسارة لإسرائيل. فالنظام الجديد يشاركها العداء لحركة حماس كنسخة فلسطينية عن حركة الإخوان المسلمين. الأمر الذي يوحي بأن المعادلة السياسية - الأمنية التي تحكم العلاقة بين إسرائيل ومصر لم تتأثر كثيرًا بالثورة، وبقيت مرتكزة - إلى حد بعيد - على المصالح الأمنية المشتركة، والحاجة إلى الحفاظ على استقرار معاهدة السلام بين

10. شاهدوا التحليل الذي قدّمه إهود يعاري، "مرسي يعزل قادة الجيش" في الرابط الآتي: <https://www.youtube.com/watch?v=xrzAU2E559k>

11. لقاء مع يورام ميطال، "فشل الإخوان المسلمون في إقناع الشعوب بأنهم قادرون على الحكم أو يستحقونه"، الصنارة، 6 حزيران 2014.

12. أخبار القناة الإسرائيلية الثانية، "فجر يوم جديد: مصر تستيقظ غداة الثورة": <http://www.mako.co.il/news-world/arab/Article-c71546c53b7af31004.htm>

13. يورام جوسنسكي وچاليا ليندنشتراوس، "حملة الجرف الصامد في حلبة إقليمية متهاوية"، نظرة على، عدد 578، 23.7.2014، مركز دراسات الأمن القومي، تل-أبيب.

الدولتين من جهة، والعداء المشترك لكل ما يمثله الإسلام السياسي من جهة أخرى.

2. المد الإسلامي

نشر بنيامين نتنياهو، عام 1993، كتاباً بعنوان "مكان بين الأمم"، خصّص فيه فصلاً للعلاقة الجدلية بين السلام والديمقراطية، واعتبر نتنياهو أن تحقيق السلام بين إسرائيل وجيرانها العرب مشروط بديمقراطية الدول العربية، وأن الغرب المتحضر ملزم بدفع مسيرة الديمقراطية قُدماً في العالم العربي. وبعد مرور 20 عاماً على نشر الكتاب يظهر نتنياهو، الذي أصبح رئيساً لحكومة دولة إسرائيل، بمشاعر سوداوية، متحفظة وباهتة من اندلاع ثورات الحرية في عدد من الدول العربية، ومن تحوّل اعتبره بداية لتأسيس نظام قمعي إسلامي متطرف في المنطقة. كما عززت حادثة اقتحام السفارة الإسرائيلية في القاهرة، في أيلول 2011، القناعة لدى نتنياهو بأن المنطقة تقف أمام موجة عارمة معادية للغرب والليبرالية وإسرائيل والديمقراطية، معاً.¹⁴ وقد عبّر عدد من القادة العسكريين في إسرائيل عن مخاوف واضحة إزاء التحولات في الدول العربية، خصوصاً على أثر حادثة اقتحام السفارة الإسرائيلية والهجمات المتكررة على أنبوب الغاز وانهايار الوضع الأمني في سيناء، وتدفّق السلاح إلى قطاع غزة من خلال الأنفاق، وارتفاع منسوب المعنويات لدى حركة حماس بعد انتخاب مرسي. فعلى سبيل المثال، رأى الجنرال يواّف چلانط، الذي شغل منصب قائد المنطقة الجنوبية في الجيش الإسرائيلي، أن الربيع العربي سيتحول إلى خريف إسلامي طويل وبارد. ورأى أقيف كوخافي، رئيس جهاز الاستخبارات العسكرية، سابقاً، أن إسرائيل عام 2012 ستواجه محيطاً غير مستقر، متوتراً، وإسلامياً أكثر ممّا كان عليه في الماضي.¹⁵ ولم يختلف موقف وزير الدفاع السابق، إهود براك، عن مواقف القيادات العسكرية، حين اعتبر أن الثورات العربية أدخلت المنطقة إلى المجهول وأن الشرق الأوسط بات أقل استقراراً وأكثر إسلاميةً، وبالتالي فإن الربيع العربي تحوّل، فعلاً، إلى خريف إسلامي.¹⁶

كما انعكس الخوف من المد الإسلامي بشكل واضح في ردود فعل الصحافة الإسرائيلية. إذ اعتبر الصحافي المتخصّص بشؤون الشرق الأوسط، إهود يعاري، في مؤتمر عقد في معهد دراسات الأمن القومي لمناسبة مرور عام على اندلاع الثورات العربية، أن هذه الثورات جاءت *بغيمه

14. ليؤور لهرس، 2013. ظلام في مصر أم ربيع الصبا؟: الخطاب الإسرائيلي عن الربيع العربي، تل-أبيب: معهد ميتافيم.

15. لهرس، المصدر السابق، ص 5.

16. إهود براك "التحديات التي تنتظرنا"، محاضرة في الاحتفال السنوي لإحياء ذكرى موشه ديّان، في مركز موشه ديّان، جامعة تل-أبيب،

11 تشرين الثاني 2012: <https://www.youtube.com/watch?v=FIbw9eNdshs>

غبار إسلاميه ثقيلة» حطت على الشرق الأوسط، وأن التيار الإسلامي سوف يتسلم السلطة أو يصبح - على الأقل - شريكاً فيها، رغم افتقاره إلى برنامج عمل واضح.¹⁷ وخرجت صحيفة "يديعوت أحرونوت" في 30 كانون الثاني 2011 بعنوان "أظلمت القاهرة" للتعبير عن مخاوف الصحيفة من سقوط نظام مبارك. أما صحيفة "ماكور ريشون - المصدر الأول" فنشرت - في أعقاب انتخاب محمد مرسي - خريطة ما سُمي بإمبراطورية الإخوان المسلمين، وكأن الحركة تخطط للسيطرة على العالم الإسلامي، في حين اعتبرت صحيفة "يسرائيل هيوم - إسرائيل اليوم" المعروفة بنزعتها اليمينية أن المصريين انتخبوا الإسلام.¹⁸

وجاءت استطلاعات رأي المجتمع الإسرائيلي متناغمة مع الانطباع السلبي الذي تبلور لدى النخبة الحاكمة. ففي أيار 2011، اعتبر 44% من الإسرائيليين أن مكانة إسرائيل تدهورت وتضررت في أعقاب سقوط الأنظمة في العالم العربي، وفي شهر تشرين الثاني 2011 رأى 68% أن الوضع الأمني لدولة إسرائيل تراجع بفعل الثورات الحاصلة.¹⁹

التخوف من وصول الإسلاميين للحكم لم يكن العامل الوحيد الذي أقلق مضاجع نتنياهو. وبالإضافة إلى ذلك، خشيت إسرائيل من تداعيات سلبية على مصير معاهدة السلام مع مصر. هذه الخشية كانت عاملاً أساسياً حدّد موقف الحكومة والنخبة في إسرائيل من الثورة في مصر. ويمكن القول إن التخوف من المد الإسلامي ارتبط عضويًا بمعاهدة السلام مع مصر، التي يُعتبر إلغاؤها أكثر ما تخشاه إسرائيل، خصوصاً أن حركة الإخوان اتخذت - منذ البداية - موقفاً معارضاً لهذه المعاهدة. يُضاف إلى ذلك أن إسرائيل - ومنذ تأسيسها - اعتبرت الأيديولوجيات الشمولية الجماعية التي تؤكد على الهوية الجماعية للمنطقة خطراً عليها. فلم يكن موقفها من الحركة القومية العربية، سابقاً، أقلّ عدائية عن الذي اتخذته من التيار الإسلامي، باعتبار أن أي أيديولوجية تؤكد على الهوية الجماعية للمنطقة تؤدي في الفكر السياسي الصهيوني، فوراً، إلى استثناء إسرائيل المتميزة عن محيطها. وقد رأى إفرام هليفي، رئيس الموساد سابقاً، أن إسرائيل اتخذت موقفاً مبدئياً بعدم التدخل في الثورات العربية باستثناء الالتزام بالتدخل لحماية مصالحها الأمنية، واعتبر هذا الموقف خطأً فادحاً. وطرح هليفي رؤية سوداوية حول الثورات، ليس لسبب

17. إهود يعاري، "الإخوان المسلمون وإسرائيل"، محاضرة ألقيت في مؤتمر "عام على اندلاع الثورات العربية"، معهد أبحاث الأمن القومي، تل-أبيب: <https://www.youtube.com/watch?v=9RQVcZAFdFY>

18. راجعوا العناوين الرئيسية لهذه الصحف: "يديعوت أحرونوت"، 20 كانون الثاني 2011؛ "مكور ريشون"، 28 حزيران 2012؛ "يسرائيل هيوم"، 25 حزيران 2012.

19. الاستطلاعات الشهرية لمؤشر السلام. يمكن الاطلاع على نتائج استطلاعات الرأي في الرابط الآتي: <http://www.peaceindex.org>

صعود الإسلاميين فقط، إنما، أيضاً، لسبب التداعيات الإستراتيجية الدولية التي ترتبت عن هذه الثورات. فقد عززت الثورات العربية مكانة روسيا في المنطقة وجعلتها تتمسك بنظام البعث في سورية. يُضاف إلى ذلك أن هذه الثورات حوّلت التنظيمات الجهادية من مجرد تنظيمات إرهابية عشوائية إلى قوة منظمة عسكرياً وإدارياً.²⁰

تغيّرت مخاوف الإسرائيليين من المدّ الثوري الشعبي الذي اجتاح العالم العربي بعض الشيء، بعد اندلاع الثورة في سورية. فقبل اندلاع الثورة السورية في آذار 2011 سقطت أنظمة موالية للغرب أو منفتحة عليه، الأمر الذي اعتبرته دوائر القرار في إسرائيل تهديداً للاستقرار وتحوّلاً إستراتيجياً يهدّد مصالحها الإستراتيجية على المدى البعيد. وظلّت الرؤية الإسرائيلية للثورات العربية سوداوية، قاتمة، ومتشائمة إلى حين اندلاع الثورة السورية. يمكن رصد ذلك من خلال خطاب رئيس الحكومة، بنيامين نتنياهو، أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة (2012) حيث أعلن أنه يمد يد السلام لشعبي ليبيا وتونس اللذين يحاولان بناء الديمقراطية، ولمواطني سورية ولبنان وإيران الذين يناضلون ضدّ أنظمة قمعية ظالمة، مستثنياً ذكر مصر التي شهدت سقوط نظام حليف لإسرائيل.

3. تفكيك " محور الشر "

لم تخف إسرائيل الشماتة باندلاع الثورة ضدّ نظام الأسد في سورية، الذي لطالما اعتُبر، إسرائيلياً، الحلقة الأهمّ في "محور الشر" الممتدّ من طهران إلى بيروت. ففي كانون الأول 2011 صرّح وزير الدفاع الإسرائيلي، إهود براك، مبشّراً بأن نظام الأسد آيل إلى السقوط، وأن سقوطه سيكون خلال أسابيع معدودة، وأن هذا التحوّل سيوجّه ضربة مميتة لمحور إيران - حزب الله.²¹ واعتبر براك أن سقوط نظام البعث هو أفضل من بقائه بالنسبة إلى إسرائيل، حتى وإن كان ثمن هذا السقوط وصول الأسلحة الكيماوية إلى أيدي حزب الله، لأن ذلك - في المحصلة النهائية - سيضعف إيران.²² وعبر عاموس چلعاد، رئيس القسم السياسي الأمني في وزارة الدفاع، عن قراءة مماثلة؛ حيث قلل من خطر التهديد الذي تشكّله التنظيمات الجهادية في حال استيلاء الإسلاميين على السلطة في سورية، وقال إنه " مع الاحترام الشديد لمثل هذا الخطر إلا أن التهديد الذي يشكّله

20. إفرايم هليقي، "احتجاج وثورة في الشرق الأوسط"، محاضرة في مؤتمر "أبير" الخامس، الجامعة العبرية، آذار 2014: <https://www.youtube.com/watch?v=Zq8QAD4AUic>

21. عاموس هرثيل، "إهود براك يرحّب: الأسد آيل إلى السقوط خلال أسابيع"، هآرتس، 11 كانون الأول 2011.

22. إهود براك، "من الأفضل أن يسقط الأسد وإن كان ثمن ذلك تسرب أسلحة كيماوية لحزب الله"، جلوبس، 22 آب 2011.

محور إيران - سورية - حزب الله هو أكبر بكثير بالنسبة إلى إسرائيل " 23.

تعي إسرائيل جيداً المخاطر التي قد تترتب عن سقوط النظام في سورية، فقد حافظ النظام على بقاء الجبهة مع سورية هادئة خلال أربعة عقود مضت، فيما سيطر سقوط النظام أسئلة جدية حول مصير ترسانة الأسلحة الإستراتيجية التي يمتلكها النظام؛ من صواريخ بعيدة المدى، أو تفكك الدولة السورية وشيوع الفوضى على الحدود الشمالية لإسرائيل. ورغم ذلك يعتبر قادة إسرائيل - ضمن حسابات الربح الخسارة على المدى البعيد - أن سقوط النظام السوري أفضل من بقاءه.

حاولت إسرائيل التقليل من حجم هذه المخاطر عبر تدخلها غير المباشر في النزاع الحاصل في سورية. فقد شنّ الطيران الحربي الإسرائيلي سبع غارات على مواقع وأهداف عسكرية في سورية، كان أهمها في محيط دمشق واللاذقية، مستهدفاً مخازن ومواقع للجيش احتوت على أسلحة صاروخية إستراتيجية، من شأنها - وفق المنطق العسكري الإسرائيلي - الإخلال بموازن القوى بينها وبين حزب الله في حال وصولها إلى يديه. يُضاف إلى ذلك أن الاتفاق مع النظام السوري على تسليم الأسلحة الكيماوية أزال أكبر ترسانة أسلحة كيماوية في منطقة الشرق الأوسط، والتي كانت تُعدّ تهديداً وجودياً لإسرائيل. هنا يجدر التنويه بأن سقوط الدولة السورية وتقسيم سورية إلى دويلات كان - على مدى سنوات طويلة - فكرة متداولة في أروقة الحكم والجيش في إسرائيل، حتى إنّ ضابط الاستخبارات العسكرية، الپروفيسور يوقال نئمان، أعدّ - في سنوات الخمسين - خطة مفصلة سُميت "ملف لاقبي" لتفكيك الدولة السورية وتقسيمها إلى دويلات طائفية. وبالتالي فإنّ تقسيم سورية ليس - بالضرورة - من دواعي قلق إسرائيل.²⁴

من الواضح أن إسرائيل تتوق إلى سقوط النظام الحالي واستبداله بنظام "سني" معتدل مقرب من السعودية، يصبح رأس حربة في مواجهة إيران وحزب الله. يؤيد ذلك ما اقترحه ميخائيل هرتسوچ، السكرتير العسكري السابق لوزير الأمن شأؤول موفاز ومدير مكتب وزير الدفاع إهود براك سابقاً، حيث دعا إلى تدخل دولي وإقليمي لدعم المعارضة وتعجيل سقوط النظام. 25 واعتبر عاموس يدلين، قائد الاستخبارات العسكرية سابقاً، ورئيس قسم الشؤون السياسية في وزارة

23. أمير بوحبوط، "عاموس چلعاد: نشطاء القاعدة ينتظرون الفرصة للاستيلاء على سورية"، موقع والا الإخباري، 2 نيسان 2013: <http://news.walla.co.il/?w=/9/2629505>

24. شلومو نكديمان، "الجد إفرايم ومغامراته في الموساد"، هآرتس، 25 آب 2011.

25. ميخائيل هرتسوچ، "استغلال الفرصة في سورية"، هآرتس، 18 حزيران 2012.

الأمن حالياً، أن الربيع العربي أضعف المحور الراديكالي المعادي لإسرائيل. 26 أما مثير دجان، رئيس الموساد الأسبق، فاعتبر أن الربيع العربي أزال التهديد العسكري المباشر ضد إسرائيل في السنوات الخمس المقبلة، على الأقل.²⁷ كما دعا عاموس يدلين إلى تدخل إسرائيل عسكرياً في سورية من أجل إسقاط الأسد الذي يقتل شعبه، لأن إسقاط الأسد ليس مصلحة إستراتيجية لإسرائيل فقط، بل مسؤولية أخلاقية تحتم على دولة إسرائيل أن تتدخل حتى وإن كان ذلك خارج الإجماع الدولي.²⁸

يعبر موشيه معوز، المختص بالشؤون السورية، والذي عمل - في السابق - رئيساً لمعهد ترومان للسلام في الجامعة العبرية، ومستشاراً سابقاً للحكومة الإسرائيلية، عن موقف غير قلق من صعود الإسلاميين إلى السلطة؛ حيث يرى أن إسرائيل تستطيع أن تستثمر هذا التحول لصالحها من خلال التأكيد على مبدأ عدوِّ عدوي صديقي، بمعنى أنه إذا استجابت إسرائيل لمبادرة السلام العربية واتجهت نحو تسوية الصراع مع الفلسطينيين فإن من شأن ذلك أن يشكل أساساً لتحالف إستراتيجي بين إسرائيل والدول العربية السنية، في مواجهة الخطر الإيراني في المنطقة. إلا أنه يؤكد أن هذا التحالف يجب أن يستند إلى معطى آخر هو تسوية القضية الفلسطينية اعتماداً على حلّ الدولتين ومبادرة السلام السعودية.²⁹ وفيما يتعلّق بسورية تحديداً، يرى معوز أن إسرائيل يجب ألا تتخوف من صعود حركة الإخوان المسلمين إلى السلطة إذا ما سقط نظام البعث فيها، لأن هذه الحركة ستنضمّ إلى نادي الدول الإسلامية المعتدلة مثل إندونيسيا وتركيا وتونس، المتحالفة مع الغرب. والأهم من ذلك أن أي نظام قد تؤسس حركة الإخوان المسلمين في سورية سيكون - بدون أدنى شك - معادياً لحزب الله وإيران، لسبب موقفهما المساند لنظام البعث، وبالتالي فإن صعود الإخوان المسلمين إلى السلطة في سورية قد يعيد مَوْضعة سورية كركن في التحالف الإقليمي المكوّن من تركيا والسعودية، ولربما، أيضاً، إسرائيل في مواجهة المدّ الشيعي.³⁰

26. بوغز فايلير، "يدلين: الربيع العربي يشكّل فرصة أكثر من كونه مخاطرة"، 28.8.2011، <http://www.ynet.co.il/articles/0.7340.L-4088468.00.html>، 2011Ynet

27. ليثور جوطمان، "مثير دجان: التهديد الأمني على إسرائيل للسنوات الثلاث أو الخمس القادمة تبحر"، صحيفة كلكالست، 10 تموز 2012، <http://www.calcalist.co.il/local/articles/0.7340.L-3576641.00.html>

28. Elhanan Miller, "Ex-intel Chief: Israel should punish Assad for killing civilians", **The Times of Israel**, May 13, 2014: <http://www.timesofisrael.com/ex-intel-chief-israel-should-punish-assad-for-killing-civilians>

29. موشيه معوز، الإسلام السياسي والربيع العربي، تل-أبيب: معهد ميتافيم، 2013، ص. 4.

30. المصدر السابق، ص. 5-6.

تلقي هذه القراءة لمواقف مسؤولين سياسيين وعسكريين ومحللين إسرائيليين الضوء على أن العامل الأساسي، الذي حدّد موقف إسرائيل من الأزمة السورية، كان التهديد الأمني الإستراتيجي الذي يشكّله حزب الله. فلطالما كانت سورية البيئة الحاضنة للحزب والمصدر الرئيس لتزويده بالسلح والحليف المخلص له. وبالتالي فإن سقوط النظام في سورية يشكّل ضربة قاضية لحزب الله، الذي سيكون، حينها، فريسة سهلة لإسرائيل، تستطيع الاستفراد به في مواجهة غير متكافئة. فعندما ينظر الإسرائيليون إلى سورية تكون عيونهم موجّهة، أساساً، نحو لبنان ونحو حزب الله الذي تعتبره إسرائيل تهديداً إستراتيجياً لأمنها واستقرارها. رغم ذلك لا يمكن القول إن المنطق العسكري-الأمني هو العامل الوحيد الذي يفسّر ارتياح المؤسسة الإسرائيلية حيال اندلاع الثورة السورية وانزلاق سورية نحو جحيم الحرب الأهلية، بل إن للعامل الأيديولوجي حضوراً في ذلك، ولو كان في مرتبة أدنى من العامل الأمني-العسكري.

4. دَمَقْرَطَة المَحِيط

عزّزت الفوضى والصراعات الدموية الداخلية التي عمّت الدول العربية، نتيجة الثورات العربية، من قناعة ومزاعم إسرائيل حول "انهزامية العرب"، و"الدونية الاستثنائية العربية". فهذه الثورات لم تُفضِ إلى بناء ديمقراطيات مستقرة، كتلك التي أفرزها انهيار الأنظمة الشيوعية في شرق أوروبا أو انهيار الدكتاتوريات العسكرية في أمريكا اللاتينية، فيما بعد. إنّما دفعت بالدول العربية إلى الورا وأدخلتها إلى نفق مظلم من صراعات داخلية وانهيارات مؤسساتية وتفكك اجتماعي، خصوصاً بعد اندلاع الثورة السورية. فالدولة مغيّبة في ليبيا والجيش عاد إلى الحكم في مصر والحرب الأهلية أتت على الدولة السورية، واليمن ممزّق والعراق على شفا التقسيم. وبالتالي فإن الثورات العربية عزّزت القناعات التي ترسّخت في الذهنية الإسرائيلية حول الفشل التاريخي والدونية الحتمية للشعوب العربية. عبّر عن هذه القناعات رئيس الحكومة، بنيامين نتنياهو، في مناسبات عدّة، حيث تبجّح بأنّ إسرائيل هي واحة أو جزيرة الاستقرار والديمقراطية وسط بحر من الطغيان والاستبداد.³¹ ويمكن القول إن أكثر ما كانت تخشاه إسرائيل هو أن تفرز الثورات الشعبية أنظمة حكم ديمقراطية في المحيط العربي تحطّم مقولة "الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط"، التي لطالما تغنّى بها قادة إسرائيل أمام الغرب كدليل قاطع على تفوّق إسرائيل الأخلاقي والقيمي على المحيط العربي، العاجز عن دَمَقْرَطَة نفسه. فلو نجحت الديمقراطية بعد

31. عاموس هرئيل، "بقيت إسرائيل جزيرة مستقرّة في محيط من العداثة والتطرّف الديني"، هآرتس، 20 كانون الأول 2012.

الثورات العربية لفقدت إسرائيل المسوّغ الأخلاقي الأيديولوجي الأوّل، الذي تطالب الغرب باسمه بتوفير الدعم لها. هنا تكون الثورات العربية قد أسقطت، حتمًا، نظرية الانهزامية الحتمية العربية وأثبتت زيفها وعنصريتها.

توقّف الثورات عند إسقاط الأنظمة بدون الانتقال إلى الديمقراطية عزّز ادعاء عدم جاهزية العرب للديمقراطية في نظر إسرائيل. فقد ردّ نتنياهو - خلال استقبال رئيس حكومة كندا في الكنيست، في كانون الثاني من العام الحالي - على مقاطعة خطابه من قبل أحد النواب العرب له بقوله: " هذا ما لا يمكن فعله في دمشق، لأنّ الحرّية موجودة هنا، في إسرائيل، فقط! ".³² فقد أكّدت الحرب الأهلية التي مزّقت المجتمع السوري للإسرائيليين عقيدة الاستعلاء على المحيط العربي. فقبل اندلاع الثورات العربية وبعدها كان إهود براك يردّد مقولة " نحن قبلا في غابة "، فإسرائيل لا تعيش في غرب أوروبا أو شمال أمريكا، إنّما في محيط صعب. فهي قبلا في قلب غابة ومحاطة بقوى معادية ".³³ كم اعتبر المستشرق الإسرائيلي، دان شيفطان، أن إسرائيل لن تتمكن من إيجاد حلول لمشكلة غزة أو الضفة أو لبنان لأنها تعيش في منطقة قرصنية فوضوية، وأن العرب فشلوا في مصر واليمن وسورية وليبيا والجزائر والسودان، وكذلك فشلوا هنا.³⁴

لم تولد هذه النزعة الاستعلائية تجاه المحيط العربي من رحم النزاع مع الفلّسطينيين، أو من الفوضى التي ولّدتها الثورات العربية، إنّما هي ملازمة للفكر الأيديولوجي الصّهيوني منذ نشأته. فقد اعتبر ماكس نوردو، المساعد الأوّل لهرتسل، في خطابه أمام المؤتمر الصّهيوني، عام 1897، أن شعوب آسيا شعوب متخلفة. أمّا بن غوريون فكان، دائماً، يعتبر شعب إسرائيل شعب النخبة الذي يجب أن يبعث النور في الشعوب الأخرى، في حين عتبت جولدا مئير على المصريين الذين ألزموا أبناء إسرائيل بقتلهم رغماً عنهم.³⁵

وإيغالا في النزعة الاستعلائية، دعا أفچدور ليبرمان، وزير الخارجية، المجتمع الدولي مراراً إلى التدخل في سورية من أجل وقف حمّام الدم، لا بل اقترح إنشاء مناطق ملاذ آمنة للأجئین

32. خطاب نتينياهو خلال استقبال رئيس حكومة كندا في الكنيست، 20 كانون الثاني 2014: <https://www.youtube.com/watch?v=r9Q1Q93C6qU>

33. ناحوم برنع، "صوت الغضب من القاهرة"، ملحق السبت، يديعوت أحرونوت، 5 تموز 2013.

34. مقابلة مع دان شيفطان في راديو الشمس، 14 تموز 2014.

35. شموئيل أمير، "قبلا في الغابة"، موقع الضفة اليسارية، 30 تموز 2006. راجع الرابط: <http://hagada.org.il/2006/07/30/comment-page-1>

السوريين في منطقة الحدود مع إسرائيل.³⁶ إلا أنّ قمة الاستعلاء الإسرائيلي تجلّت في توجّه رئيس المخابرات العامّة السابق، آفي دختر، بنداء متلفز، للشعب السوري، قائلاً فيه: "إني أتألم من سكوت العالم عن هذه الجرائم البشعة التي تقوم بها قوّات الأمن السورية ضدّ المواطنين الأبرياء". وتساءل دختر: "أين الأمّة العربية، أين الجامعة العربية، أين الملايين، أين الأمم المتحدة؟!". وقد قدّم دختر اعتذاره للشعب السوري عن عدم تدخل إسرائيل لأسباب إقليمية معروفة.³⁷ كذلك يرى المؤرخ بيني موريس أن الثورات العربية تؤكّد - من جديد - همجية المحيط العربي، فالشعوب العربية والفلسطينيون لم يوهبوا علماء استطاعوا الحصول على جائزة نوبل، إنّما "أبدعوا" في أساليب القتل كما يبدو من القتل الجماعي الحاصل في العراق وسورية وغيرها.³⁸

خرج وزير الاقتصاد الإسرائيلي ورئيس حزب البيت اليهودي، نفتالي بنت، في مطلع العام الحالي، محاولاً تبرير الحرب الشعواء على غزة، مصرّحاً أن إسرائيل هي الدولة الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط، ومتسائلاً: "هل يوجد في السعودية أو الأردن أو لبنان أو سورية عضو يهودي في البرلمان؟ نحن الديمقراطية الوحيدة التي تمنح النساء حقوقاً متساوية، نحن الدولة الوحيدة التي يستطيع فيها الفرد إسماع صوته".³⁹ وعندما سُئل بنت عن قتل المدنيين في غزة قال: "نحن لا نعيش في لالا لاند، إنّنا نعيش في مكان حقيقي، هناك أپرتهيد في سورية ولبنان. ففي سورية ذبحوا 100 ألف شخص، وفي إيران يقتلون كلّ من يحتجّ، أمّا إسرائيل فهي المكان الوحيد الذي تُكفل فيه حرّية التعبير".⁴⁰

يحمل كلّ ما تقدّم - في طيّاته - دلالة واضحة، وإن تعدّدت إرهاباتها وتفاوتت مستوياتها، على عقلية الاستعلاء على المحيط، ومحاولة إسرائيلية لاستغلال الحالة العربية لترويج الدعاية الإسرائيلية في الساحة الدولية. فالجيش الإسرائيلي جيش أخلاقي لا يقتل الأبرياء ولا يرتكب ما ترتكبه الجيوش العربية، والمجتمع الإسرائيلي مجتمع محصّن لا يقترف ما تقترفه المجتمعات العربية بحقّ نفسها، وإسرائيل كدولة هي مؤسسة قيمية قائمة على نظام متكامل من القيم والأعراف الراسخة. تلخّص التصريحات الصادرة عن بنت الخطاب السياسي الأيديولوجي

36. حزكي عزرا، "أفقدور لبيerman: المجزرة في سورية لا تحتل"، موقع القناة السابعة، 4 آذار 2014: <http://www.inn.co.il/News/News.aspx/234512>.

37. شاهدوا النداء الذي وجهه آفي دختر، "العالم العربي يتجاهل الشعب السوري": <https://www.youtube.com/watch?v=3rGhmcZu6Iw>

38. بيني موريس، "ملزومون بالحاق الهزيمة بحماس في الحرب القادمة"، هآرتس، 25 تموز 2014.

39. مقابلة مع وزير الاقتصاد، نفتالي بنت، في برنامج Hard Talk BBC، 25 شباط 2014 شاهد الرابط: <https://www.youtube.com/watch?v=22GP-jR9OkA>

40. المصدر السابق.

السائد في أوساط النخبة الإسرائيلية منذ تأسيس إسرائيل، والذي يقوم على فكرتين أساسيتين تجسّدان منطق الاستعلاء: الأولى أن إسرائيل على النقيض من أعدائها - هي الدولة الوحيدة التي تحكم بالديمقراطية الغربية، وهي الوحيدة التي تتقاسم مع الغرب قيمه وأخلاقياته ونظامه السياسي. أما الثانية فهي أن إسرائيل، التي هي جزء من العالم الغربي المتحضّر، تعيش في محيط غير متحضّر يسوده التخلف والهمجية، وأنّه إذا أقدمت إسرائيل على أي فعل ينصبّ في هذه الخانة فليس لأنها كذلك، بل لأنّ همجية محيطها تقودها إلى التعامل معه بمنطقه نفسه؛ فالعرب لا يفهمون إلا منطق القوّة. بمعنى أن إسرائيل لم تتفوّق على محيطها بجيشها وتقدّمها العسكري والتكنولوجي فقط، إنّما، أيضًا، بأخلاقياتها، لأنها إذا ما ارتكبت عملاً لا-أخلاقياً يكون ذلك ردّ فعل نابغاً، حتماً، من نوعية المحيط الذي تعيش فيه.

يشكّل التأكيد على مفهوم انعدام الاستقرار في المنطقة امتداداً لادعاء لطالما طرحه قادة إسرائيل، وهو أن القضية الفلسطينية ليست عامل التوتر الوحيد في المنطقة، وأن منطقة الشرق الأوسط تعجّ بالصراعات والخلافات الحدودية والعرقية والإقليمية والداخلية.⁴¹ وتجسّيداً لذلك نشر الملحق الاقتصادي لصحيفة هآرتس مقالاً عن جريدة "الإيكونوميست" البريطانية تحت عنوان "مأساة العرب"، يظهر أن المجتمعات العربية فشلت في حاضرها وباتت بلا مستقبل.⁴² وإذا كان الواقع العربي - في العقود الأخيرة - يدعم مقولة "فشّل الدول والمجتمعات العربية"، إلا أن الأمر الأهمّ الذي يتناساه الإسرائيليون هو دورهم في هذا الفشل، وأنّ هذا الفشل لم يكن حتمياً أو بنيوياً أو قدرًا منزلاً، إنّما هو وليد الظروف والتطورات والتحوّلات التي مرّت بها المنطقة منذ دخول الحداثة الغربية إليها.

رغم كلّ ما تقدّم، يمكن القول إن ردّة الفعل الإسرائيلية على الثورات العربية لم تخلُ من مظاهر الإعجاب المبطن أو المعلن. حيث يعتبر إهود يعاري أن الثورات العربية أعادت صياغة العلاقة بين المواطن العربي والسلطة. فحتى اندلاع الثورات لم يكن العرب في بلدانهم أكثر من رعايا، وجاءت الثورات العربية لتعبّر عن رفضهم لهذه المعادلة وخرجت الجماهير العربية مطالبة بحقوق المواطنة. وللمرّة الأولى في تاريخ العرب الحديث بات العرب في بلدانهم مواطنين لا رعايا.⁴³ كما

41. إهود براك، محاضرة في ذكرى موشيه ديان، في مركز موشيه ديان في جامعة تل-أبيب، 11 تشرين الثاني 2012. <https://www.youtube.com/watch?v=FIbw9eNdshs>

42. المقال الافتتاحي لصحيفة الإيكومنيست: "فقر، عنف، وكراهية: العالم العربي مجرد فشل"، الملحق الاقتصادي لجريدة هآرتس، **Marker 8** تموز 2014.

43. إهود يعاري، "التطوّرات الأخيرة في الشرق الأوسط"، محاضرة في جامعة بار إيلان في كانون الثاني 2012. <https://www.youtube.com/watch?v=83jqLcOUf8M>

اعتبر البروفيسور شلومو أفينيري، المدير العام السابق لوزارة الخارجية الإسرائيلية، أن الثورات العربية - وإن لم تأت بالديمقراطية المنشودة - أسقطت مقولة "استثنائية العرب"، وثبت أن العرب قادرون على فعل التغيير، لأنهم نجحوا - وللمرة الأولى في تاريخهم الحديث - في إسقاط أنظمة دكتاتورية.⁴⁴

الخلاصة:

لا يختلف اثنان على أن الثورات العربية تشكل حدثاً مؤسساً في تاريخ المنطقة العربية، لا يزال نعيش تداعياته وتبعاته. حتى إن تأثير هذه الثورات امتد إلى المجتمع الإسرائيلي، الذي خرجت منه حركة الاحتجاج الاجتماعي في تموز 2011، مطالبة الحكومة بتحقيق العدالة الاجتماعية وإنقاذ الطبقة الوسطى من الانهيار، لسبب عبء الضرائب وغلاء المعيشة والخدمة العسكرية. حتى إن أهم الشعارات التي رفعت خلال حركة الاحتجاج كانت "الشعب يريد عدالة اجتماعية" مستوحيةً ذلك الشعار من المنتفضين العرب.⁴⁵

استحوذت الثورات العربية على اهتمام خاص في الحيز الإسرائيلي، وتعددت حولها التفسيرات والتحليلات، إلا أنها انطلقت جميعها من زاوية السؤال الإسرائيلي المركزي، وهو ما إذا كانت هذه التحولات تصب في صالح إسرائيل أم لا.⁴⁶ لا يمكن إنكار حقيقة أن الحراك الثوري الجماهيري الذي اجتاحت العالم العربي، ونجاح الثورات الشعبية في إسقاط أنظمة دكتاتورية عاتية، أثار اهتمام المجتمع الإسرائيلي، ذلك أن مشاهدة الإنسان العربي منتفضاً بهذا الشكل كان مشهداً لم يعتده الإسرائيليون. إلا أن صعود التيار الإسلامي كان مبعثاً حقيقياً للقلق في إسرائيل، خصوصاً فيما يتعلق بمصر، الدولة العربية الأكبر والأهم بالنسبة إليها.⁴⁷ على الضد من الحالة السورية التي لا تخشى فيها إسرائيل استيلاء الإسلاميين على الحكم، وقد اعتُبر وصول الإخوان إلى السلطة في مصر تحوُّلاً خطيراً لسبب الترادف والتماثل الفكري والسياسي مع حركة حماس في غزة.

شكل اندلاع الثورة السورية نقطة تحوُّل في القراءة الإسرائيلية وتعاملها مع الثورات العربية، فقد

44. شلومو أفينيري، "الكلمة الافتتاحية" في مؤتمر "أبير" الخامس الذي عُقد في آذار 2014: <https://www.youtube.com/watch?v=jbdA47TQJqk>

45. لهرس، مصدر سابق، ص. 16-15.

46. لهرس، مصدر سابق، ص. 18.

47. إفرايم عنبار، "التقلبات في العالم العربي والأمن القومي لإسرائيل"، إفرايم عنبار (محرر)، ربيع عربي؟، تل-أبيب - "يديعوت أchronوت"، 2013، ص. 226.

بعثت آمالاً حقيقية لها بانهايار " محور الشر " الذي تقوده طهران. كما أن انزلاق الثورة السورية إلى حرب أهلية بدمويتها غير المسبوقة عزز - من جديد - القناعات الإسرائيلية حول التفوق الأخلاقي والقيمي، الذي لطالما ادعت إسرائيل امتيازها به مقابل جيرانها. انعكست هذه النزعة الاستعلائية بشكل واضح في خطاب رئيس الحكومة نتنياهو في الكنيست مطلع عام 2014، لدى استقبال رئيس الحكومة الكندية، حيث قال: "أمل أن تكون هناك برلمانات حقيقية، في سورية مثلاً، فهنا في البرلمان - كما رأيت - كل واحد يستطيع التعبير عن رأيه، كل واحد يستطيع أن يتكلم، أن يصرخ، وأن يحتج. هذا ما لا يمكن فعله في دمشق... لا يمكن فعله في أماكن أخرى، لأن الحرية مكفولة في إسرائيل، فقط. أستطيع أن أقول إنني لم أجد أن أصدقاءنا، عرب إسرائيل، يريدون الانفصال عن دولة إسرائيل، كلهم يريدون البقاء هنا وبحق، وأنا أفهمهم".⁴⁸

يُعتبر تمنّي نتنياهو، وجود برلمانات في المنطقة، لغواً إعلامياً، فيما الحقيقة هي أن أكثر ما تخشاه إسرائيل هو أن تعم الديمقراطية في الوطن العربي، لأنّ تعميمها في المنطقة العربية سيُفقد إسرائيل مصادر استعلائها وقواسمها المشتركة مع الغرب. لا تُعتبر الثورات - في المحصلة الأولى، رغم صعود الإسلاميين وانهيار الدول والتناحر الداخلي، الذي مزّق المجتمعات العربية - في القراءة الإسرائيلية تحوُّلاً كارثياً، لأنّ أيّاً من الدول العربية لم تُعدّ تشكل تهديداً وجودياً لإسرائيل. كما أنّها قصّرت المسافة بين إسرائيل والأنظمة الملكية التي وجدت في الثورة السورية فرصة لقصّ أجنحة إيران الممتدّة في الوطن العربي.

سيؤدّي الانهيار الحاصل في المحيط العربي حتماً إلى ازدياد النزعة الانعزالية لدى المجتمع الإسرائيلي، لأنّ المحيط الذي كانت تحكمه الدكتاتوريات تستشري فيه الفوضى، وبالتالي لا بدّ من تحصين الذات من خلال جدار نفسي وآخر ملموس على الأرض، حيث إنّ "تجدير" إسرائيل هو تحصيل حاصل لفشل مشروع التسوية مع الشعب الفلسطيني واندلاع الثورات العربية والمدّ الإسلامي، الذي بدأ يأخذ بعداً صدامياً-دموياً.

خشيت إسرائيل من الثورات العربية بداية الأمر، وتخوّفت من تسييس الجماهير العربية، متناسية أنّ القضية الفلسطينية كانت الغائب الأكبر عن هذه الثورات، لأنّ المواطن العربي قرّر، أخيراً، أن يعلن ملله من الأيديولوجيات والشعارات والخطابات الخشبية، وأن يُسمع صوت أُنينه ضدّ

48. خطاب نتنياهو خلال استقبال رئيس حكومة كندا في الكنيست، 20 كانون الثاني 2014. شاهد الرابط الآتي: <https://www.youtube.com/watch?v=r9Q1Q93C6qU>

القمع والفقر والتهميش والإقصاء، الذي لطالما أُخمد في أقبية المخابرات. إلا أن المنحى الذي أخذته هذه الثورات، فيما بعد، جعل إسرائيل الرسمية والشعبية تقتنع بمنطق الآية القرآنية من سورة البقرة: "وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم". فإسرائيل التي اتخذت قراراً بعدم التدخل في ما يحدث من حولها، إلا إذا تعرّضت مصالحها الأمنية للخطر، لم تكن بحاجة إلى التدخل المباشر أو الخفي، لأنّ التحوّلات التي جاء بها ما سُمّي "الربيع العربي" لم تكن - بالضرورة - في غير صالح إسرائيل، بل أكثر من ذلك، فقد أفرغت هذه الثورات المنطقة من دور عربي فاعل، ولم تأت بالديمقراطية، وفتحت الباب أمام تغييرات من شأنها إعادة رسم خارطة المنطقة، حيث لا يستطع أحد، الآن، التنبؤ كيف سيكون تأثيرها على إسرائيل في المستقبل البعيد.